تاريخ اوربا في عصر النهضة

المحاضرة السابعة عشر **م.م. يسرى عماد الطه**

الدور السويدي ١٦٣٠ ــ ١٦٣٥

جوستاف ادولف ملك السويد و من اعظم قادة الجيوش الاوربية في القرن السابع عشر استطاع ان يجمع الشعب السويدي تحت لوائه و تكوين جيش جهزه باحدث الأسلحة و دربه على ايدي خبراء من الهولنديين العسكريين .

دوافع جوستاف ملك السويد من دخول الحرب :

- حماسته الدينية و غيرته على طائفته البروتستانت الذين كانوا يعيشون في مأساة كبرى عقب هزيمتهم في المانيا
- كانت سياسته تهدف الى حماية بحر البلطيق و السيطرة عليه حيث كانت ممتلكات السويد تمتد على ساحله الشرقي و كان يعتقد ان انتصار الامبراطور على البروتستانت في المانيا قد يدفعه الى القيام بمغامرة حربية ضد دولة السويد البروتستانتية شمال المانيا
- كانت تسيطر على جوستاف فكرة يحلم بتحقيقها وهي ان انتصاره على الامبراطور يؤدي الى استيلاء السويد على الشريط من الأرض على الساحل الشمالي لألمانيا و عندئذ يصبح بحر البلطيق و بحيرة سويدية .

نزل جوستاف بقواته في المانيا في يونية ١٦٣٠ و تعلقت به امال البروتستانت في كل مكان و اعتقد ان امراء الولايات البروتستانتية سوف يسارعون للانضمام اليه الا ان امير سكسونيا و امير براندنبرج رفضا التعاون معه و خيبا امله فيها .

تقدم جوستاف من بوميرانيا لنجدت مجدبرج التي كان يحاصرها القائد الامبراطوري (تلي) لينزعها من يد الامبراطور تطبيقا لمرسوم الإعادة و هنا رفض امير سكسونيا و براندنبرج السماح لقوات جوستاف بالمرور عبر ولايتهما للوصول الى مجدبرج و كانت النتيجة ان اكتسحتها قوات الامبراطور قبل ان ينقذها الجيش السويدي و ارتكب الفاتحون اكبر مجزرة بالتاريخ حيث ذبحو بوحشية ما لا يقل عن عشرين الف من سكانها من رجال و نساء ثم اشعلو الحرائق في المدينة

استطاع القائد تلي ان يحقق النصر و تقدم لغزو سكسونيا و بدأ بمطالبة اميرها ان ينزع السلاح الجيش عندا ادرك الأمير خطأه بعدم التعاون مع ملك السويد و لم يعد امامه الا ان يستنجد به و تعهد له بان يكون حليفا مخلصا و تبع ذلك انضمام امير برانبرج للمعركة.

قام جوستاف بمعاونة حليفيه بالتقدم نحو ليبزج التي احتلتها قوات تلي و تقابل الجيشان عند ضاحية بريتفلد بالقرب من ليزج و هنا ظهرة قدرة جوستاف الحربية و كفاءة جيوشه المتدربة و انهزم امامه قواد الامبراطور و تم قتل و اسر عشرات الالاف من جنود الإمبراطورية .

اتجه بعد ذلك نحو الغرب و تقدم نحو الأراضي الألمانية مستوليا على عدة مدن و حاول تلي ان يقاوم الهجوم السويدي و تواجه مع جوستاف في موقعة على نهر لخ احد روافد نهر الدانوب جرح فيها القائد تلي توفي على اثره بعد أسبوعين و اضطربت جيوشه و تقهقرت تاركين السبيل مفتوحا امام جوستاف ليتقدم نحو ميونخ عاصمة بافاريا .

كان موقف الامبراطور فرديناند بعد ان نجح ملك السويد و ازداد عدد جيشه و قوته بانضمام الكثيرين من الالمان اليه و كان الحل الوحيد امامه ان يستدعي القائد والتشين الذي اصر على ان يكون من جديد صاحب الكلمة الأولى على جيشه و ان يترك له التصرف في البلاد التي يدخلها و الغنائم التي تستولي عليها قواته و ان يلغى مرسوم الإعادة الذي قال عنه والتشين انه ينافي مبادئ جيشه في التسامح الديني فلم يرى الامبراطور امامه سوى الموافقة على الشروط رغم ما فيها من مساس لهيبته و كرامته .

استطاع والتشين ان يجمع في مدة قليلة جيشا بلغ عدده ستين الف و سار به عبر سكسونيا لمقابلة عدوه و كان جوستاف قد ابتعد كثيرا داخل المانيا و اتخذ نورمبرج مقرا لعملياته الحربية و عندما هاجمه والتشين و اضطر الى التقهقر . و التقى الجيشان في موقعة عنيفة تشتت اثناءها جيش و التشين و هزم هزيمة ساحقة الا ان الجيش السويدي فقد ملكه اثناء المعركة و جرح جرحا مميتا و اجهز عليه الأعداء .

اما والتشين فتراجع الى بوهيميا ليحاول جمع ما تبقى من جيشه المنهزم و اخذ إعادة تنظيمه و تدريبه و مع انه خرج من الموقعة الأخيرة مهزوما الا انه كان لا يزال بقوته و انه صاحب الكلمة العليا في المانيا ، ثم فكر بارغام الامبراطور و السويد على عقد الصلح الذي يضع هو شروطه و بدأ يفاوض الوصي على عرش السويد سرا و غضب الامبراطور من تصرفات والتشين فقرر عزله من قيادة الجيش و اتهمه بالاتصال بالعدو و اباح قتله .و تبع ذلك موت والبتشين على يد جندي ايرلندي طمعا بالمكافاة .

تولى قيادة الجيش ابن الامبراطور فرديناند و كان ملكا على المجر فتقدم نحو بافاريا و حاصر نورلنجن و هناك انهزم السويديون هزيمة ساحقة .

كان من نتائج هزيمة السويد ان انسحب امير سكسونيا من الحرب و عقد الصلح منفردا مع الامبراطور في مايو ١٦٣٥ و حذت حذوها الولايات البروتستانتية الألمانية الأخرى و سحبت تأييدها للتدخل السويدي و مقابل ذلك الغى الامبراطور معظم بنود مرسوم الإعادة لتهدئة روع البروتستانت و تامينهم على حياتهم الاقتصادية . و هكذا تخلى الالمان البروتستانت عن مساعدة من جاؤا لمساعدتهم و تهيأ الجو للتقارب بين الولايات الألمانية و بدأت الحروب الدينية الداخلية على وشك الانتهاء .

في حين ان حرب الثلاثين عاما لا تزال مشتعلة لان فرنسا و على رأس سياستها رتشيليه قررت بعد الهزيمة السويدية ان تلبي طلب الوصي على العرش السويدي بالتدخل و اصبح دور فرنسا إيجابيا بعد ان كان سلبيا عدة سنين .

الدور الفرنسي السويدي ١٦٣٥ ــ ١٦٤٨ :

بعد ان كانت فرنسا تكتفي بمد يد المساعدة المالية للسويد قرر ريتشليه ان يرسل الى الميدان جيشا فرنسيا لمهاجمة جيش الامبراطور في الجبهة الغربية و في الوقت نفسه اعلن الحرب على اسبانيا التي يحكمها الفرع الثاني لاسرة هسبرج

دخلت حرب الثلاثين عاما في دورها الأخير و الحاسم يشترك فيه الفرنسيون الى جانب السويد على الأراضي الألمانية و لم يعد الخلاف الديني هو الدافع الرئيس لهذه الحرب ، فقد كان غزاة المانيا هذه المرة يتالفون من كلا المذهبين البروتستانتي و الكاثوليكي

فعلى الرغم من ان ريتشيليه كان كاردينال كاثوليكي الا انه بدوافع سياسية اظهر نواياه علانية في الحرب الى جانب البروتستانت الالمان ، و أصبحت الحرب دولية ذات اهداف سياسيةبعيدة حاول اثناءها ريتشيليه ان يجمع حوله جميع أعداء اسرة هسبرج ممن يستطيعون القيام بالعون ضد الفرع الاسباني العدو الأول لفرنسا .

اهداف ريتشليه من دخول الحرب :

اضعاف سيطرة اسبانيا على الأراضي المنخفضة الاسبانية لان الوجود الاسباني في تلك البلاد يعتبر تهديد دائم للعاصمة الفرنسية
و في نفس العام الذي قرر دخول الحرب الى جانب السويد عقد تحالفا اخر مع الهولندين الثائرين الذين جددو حرب الاستقلال بعد ان انتهت الهدنة الاثنى عشر عام منذ ١٦٢١ و هكذا كانت حرب الثلاثين عاما في دورها الأخير صراعا على السيادة بين ال بوربون و ال هسبرج بفرعيهم الألماني و الاسباني .

اعد ريتشليه خطه الحرب بان يزحف الجيش الفرنسي عبر الراين و يزحف الجيش السويدي من قواعده على بعض البلطيق جنوبا داخل الأراضي الألمانية حتى يجد الامبراطور نفسه محصورا بين قوتين .
صمم الامبراطور على المقاومة رغم ضعف التاييد الذي كان يلقاه من شعبه و من الامراء الالمان و استطاع فعلا في بادئ الامر ان ينتصر في عدة مواقع الا ان توالي الهجمات التي كان يقوم بها السويديون و الفرنسيين اثقلت كاهله و بعثت اليأس في نفسه و عانى الشعب الألماني الذل و تحولت القرى و المدن الى انقاض و تحطمت الحياة الزراعية و انتشرت المجاعة في البلاد و تفشت الأوبئة على اثرها .
و بتوالي الكوارث و الهزائم اضطر الامبراطور الى ان يجنح للسلم فقد كانت الجيوش الفرنسية تزداد عنفوانا و النصر يحالفها في كل المعارك تحت قيادة الأمير كندية و القائد الكبير تورين بينما كانت الجيوش السويدية من جانبها منتصرة على طول الخط .

ادرك الامبراطور سوء المصير و لكنه لم يدرك بالنهاية نهاية الحرب فقد ادركته المنية عام ١٦٣٧ و خلفه على العرش ابنه فرديناند الثالث الذي شهد عهده هزيمة المانيا النهائية مما اضطره الى الدخول في مفاوضات صلح مع اعدائه انتهت بعقد معاهدة وستفاليا ١٦٤٨ .

صلح وستفاليا ١٦٤٨ :

ابتدأت محادثات الصلح في مقاطعة وستفاليا الواقعة في حوض الرين الاسفل في مدينتي مونستر و اسنابروك و طالبت فرنسا و السويد باشراك الولايات الألمانية في المفاوضات كل منها على انفراد بقصد تفتيت القوى .
و رغم معارضة الامبراطور لتلك الفكرة الا انه لم يستطع ان يفرض ارادته و ازدحمت وستفاليا بمئات الدبلوماسيين بمئات الدبلوماسيين و المفاوضين من الإمبراطورية و ممثلي الولايات المتحدة و حضر أيضا مندوب عن البابا و بذلك اصبح مؤتمرا اوربيا يضم كافة الاتجاهات

كانت المفاوضات في بادئ الامر تجري و الجيوش تقاتل في الميدان و لذلك كانت الشروط تتغير و تتبدل بعد كل معركة و نتج عن ذللك ان تعثرت المفاوضات المبدئية ثم استقامة بعد ذلك و اتفق الأطراف على شروط الصلح .

شروط صلح وستفاليا :

1- يتمتع اتباع لوثر و كلفن على السواء بالحرية الدينية في جميع انحاء الإمبراطورية و ان يحتفظ الكاثوليك و البروتستانت بما كان لديهم من أملاك الكنيسة منذ ١٦٢٤ مع الاحترام الكامل لشروط صلح اوجزبرج سنة ١٥٥٥ و ان ليس لامير الحق في اجبار رعاياه على اتباع المذهب الذي يروق للامير .
2- ان تحتفظ بافاريا بالبلاتين العليا و بذلك اتسعت مساحتها مما جعل لها الزعامة على الولايات الألمانية الجنوبية و اعيدت السفلى الى ان ابن فريدريك ملك بوهيميا السابق
3- ان يبقى في يد فرنسا هتز و تول و فردان و تضم معظم الالزاس ما عدا مدينة ستراسبورج الحرة و بذلك اصبح لفرنسا السيطرة على أعالي الرين .
4- تستولي السويد على النصف الغربي من بوميرانيا و على اسقفتي بربمن و فردن و بضم هذه الأملاك الى السويد أصبحت تتحكم في مصبات الأنهار الإمبراطورية التي أصبحت تحت رحمة دولة غير المانية و سيطر السويديون على انهار الاودر و الالب و الفيزر
5- ان تستولي براندنبرج الواقعة في قلب الإمبراطورية على بوميرانا الشرقية و معظم مجدبورج و عدة اسقفيات أخرى مجاورة و انتقلت زعامة البروتستانت بهذا الاتساع من امير سكسونيا الى امير براندنبرج .
6- الاعتراف رسميا باستقلال هواندا و سويسرا .

اثر الحرب في المانيا :

تركت الحرب اثرا سيئا في الإمبراطورية اذ انسلخت عنها الكثير من الولايات التي تشكل حدودها : فلم تعد هولندا و سويسرا تابعتين للامبراطور و انقسمت المانيا الى ما يزيد عن مئتي ولاية و اصبح كل امير يدعي استقلاله في ولايته و ضاعت هيبة الامبراطور و فشلت الجهود التي بذلها الاباطرة للسيطرة على سائر الولايات الإمبراطورية .

اظهر صلح وستفاليا ان الإمبراطورية لم يكن لها كيان الامبراطوريات الموحدة و لم تعد سوى اتحاد ضعيف بين حكومات منها الكبيرة و الصغيرة

و لم تعد هناك سلطة مركزية تستطيع سن القوانين و تجنيد الجيوش و فرض الضرائب و سنحت الفرصة لقادة اخرين من زعامة المانيا و تتمثل هذه الظاهرة في حكام براندنبرج الذين اصبحوا فيما بعد ملوك بروسيا .

أخيرا ان صلح وستفاليا كان نهاية للعصر الذي اطلق عليه في التاريخ عصر الإصلاح الديني فقد اصبح الوضع الديني واضحا و لابد من بقاء المذهبين الكاثوليكي و البروتستانتي و تعايشهما جنب الى جنب مع بعض في اوربا و ساد التسامح الديني الذي فرضته الدول التقدمية على رعاياها .